الإمام الشافعي

أعـلام الفقهـاء

الإمام الشافعي

إمام العباقرة، وعبقري الأئمة، له في العلم سبب، وفي البيت نسب، وفي المروءة حسب.

سالت قريحته فتفجرت أنهار الحكمة من على لسانه، وساقت رياح التوفيق سحب علمه فسالت أدوية بقدرها. ذاكرته أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين.

الشافعي أخذ من الأثر روحه، ومن الفقه خلاصته، ومن البيان ناصيتة ومن الشعر حلاوته، ومن المجد ذروته.

قعّد للعلماء القواعد فغضب عليه أعداء الشريعة؛ لأنهم رضوا بأن يكونوا مع القواعد، فخَرَت به قريش، وتبجحت به العراق، وخرجت إليه مصر، حاور محمد بن الحسن فقطع أزراره، ورد على المريسي فأطفأ ناره، وجاور أحمد فشكر جواره.

الشافعي لدنيا العلوم شمس، ولأبدان الأخبار عافية، ولليل المدلهم قمر، في الشرع شعرُه، في الحق بذلُه، للآخرة طلبُه، لله سعيه، لما خرج إلى البلاد لبست بغداد الحداد وأمست في سواد.

الألفاظ سكر، والقصد نضيد، حفر لحدًا للملاحدة، وعزل في زنزانة الإحباط المبتدعة، ورد الأباطيل في جوه أهل التعطيل، إن سألنا عن أهل الكلام فالجريد والنعال. وأهل السنة: رواد الجنة. والفلاسفة: أهل سفه. ومالك: نجم الممالك. وأحمد بن حنبل: زرع سنبل.

أتاه المال ففر منه إلى العلم، وأتته الدنيا فهرب إلى الآخرة تعلم الفراسة في اليمن، فكشف أهل الزيغ والأفن، تدجج بالحجج فألحم الدجاجلة، وصال بالأصول على أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم .

درس الطب فمرض جسمه، وداوى الناس فزاد غُنمه.

المروءة عنده ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت أشعر من لبيد، التواضع: أحب الصالحين ولست منهم.

ميزة الشافعي: التفرد، ومنقبته التجرد، تفرد في الفهم، فعصر من زهر الذهن رحيقاً، وتجرد للحق فنسج من بز الشريعة ثوباً سابغاً.

فاح طيب ذكره في الأنوف، فيا فرحة من شم، وهزم الباطل فكأنه شم عطر منشم، الشافعي شهاب ثاقب أُحرقت به شياطين الإنس ولهم عذاب واصب.

يا بن إدريس أيها الشهم الأجلّ أنت سيف الحق في العلياء سُلّ.

مسكين من جادل الشافعي وناظره، مسكين من عارضه وكابره، مسكين من عرفه وما ذاكره.

درس محمد بن إدريس علوم محمد صلى الله عليه وسلم فترك علماً لا يغسله الماء، ولا تطفئه الريح ولا يلفه الظلام، ولا ينسيه الدهر، الرسوخ في يسر، العمق في سهولة، الأصالة في إشراق، البراعة في نصوع.

أهل فارس يعرفونه، وأهل الصين يذكرونه، وأهل الأندلس يمدحونه، وأهل الباطل يبغضونه.

إذا مرجت الآراء بزغ رأي الشافعي كالنجم الثاقب، إن تكلم أسكت الخطباء، وإن أنشد صمت الأدباء والبلغاء، أحب الملة فأمهرها روحه، وعشق العلم فأعطاه عمره، وأخلص للرسالة ففاضت لها نفسه، فهو عاشق المُثُل، سامي المقاصد، رجل المروءات، ناشر السنة بين أهلها، وناصرها على أعدائها، وحافظها لمحبيها، وشارحها لناقليها.

وإن تفق الأنام وأنت منهم ::: فإن المسك بعض دم الغزال

ورث أنوار الرسالة، فألف للأمة الرسالة، مات أبوه فكفلته الأم، فقدم للناس كتاب الأم، إذا نطق الشافعي فكأن السيل أقبل، والفجر بزغ، والنور

سطع، صحة مخارج، حلاوة لفظ، قوة حجة، براعة دليل، سلامة إنشاء: {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ} [الجمعة: ٤].

في الفقه إمام، في النقل حجة، في النسك علم، في اللغة أستاذ في الذكاء آية.

سرت به أمة من غزة فسبحان الذي أسرى، وعاش في مكة لينفع أم القرى.

الشافعي لم يستند إلى النسب ولو أنه مُطلّبيّ، ولم يتكل على الجاه فهو أبيّ، ولكن أخذ بأسباب الخلود، وهجر أسباب الفناء، فأمات في حياته النفس الأمارة، وأحيا بوفاته النفس المطمئنة، فنوديت:{ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾} [الفجر: ٢٨].

إذا كانت الحياة بالبساط والسياط والسلطة والسطوة فأين أصحابها بعد موتهم:{هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم: ٩٨].

عند الشافعي: اتباع الأثر عبادة، الوقوف مع النقل عقل، توقير الصحبة عقيدة، رد الشُبَه جهاد، تعليم الناس ربانية، ترك المعاصي هجرة، أهل الحديث رؤوس، المبتدعة سفلة، علم الكلام غي، المنصب دُل، الدنيا دنيئة.

بدا إلى البادية فهدّ شعر هذيل، كان رأسًا وسواه ذيلا، احتسى علم مالك، ومص فهم أبي حنيفة، وجمع بين النثر والشعر، والرواية والدراية والعقل والنقل.

الشافعي عروبة حجازية، وفصاحة عراقية، ورقة مصرية، أعجب ما فيه روح التجديد في المذهب القديم، وقدم التأصيل في مذهبه الجديد، سخر الشعر للشريعة، والنحو للوحي، والرأي للرواية، التعليل للتأويل، حملته الهمة فأضناه الطلب، وخلع الدنيا فلبس تاج القبول، خاف الدنيا والدنايا، وجانب الشيطان والشر والشهوة والشبهة.

إن خطب أطنب وأطرب، وأتى بكل أطيب.. وإن أفتى شفى وكفى

وأوفى.

فلج خصوم الإسلام، ونكس رايات الأقزام وأبقى ذكره للأيام، دمغ الضلال، واكتسح الجهال،{وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ} [إبراهيم: ٤٦].

انكسر به ظهر الجبرية، وثلم به قدر القدرية، وأخرجت حججه شبه الخوارج، واهتز في يده سنان السنة [1].

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، الإمام العلم

أبو عبدالله الشافعي المكي المطلبي الفقيه، نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

... وقد ولد الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - بغزة سنة مائة وخمسين من الهجرة، فلم يكد يبلغ سنتين من عمره حتى حمل إلى مكة، فنشأ بها، وأقبل على علوم اللغة واعتنى بالأدب والشعر، فبرع في ذلك، وحُبِّبَ إليه الرمي، حتى فاق الأقران، وصار يصيب من العشرة تسعة.

... والسائب بن عبيد الله المطَّلبي - الذي نسب إليه الشافعي: أحد من أسر يوم " بدر " من المشركين، وكان يشبَّه بالنبي.

... وأمه هي: الشَّفَاء بنت أرقم بن نَضلة، ونَضلة هو أخو عبد المطلب، من بني هاشم، ويقال: إنه أسلم بعد أن فدى نفسه. وابنه شافع له رؤيةوهو معدود من صغار الصحابة. وكانت أم الشافعي أزدية.

حِفْظُه للقُرْآنِ وتِلاوتُهُ لَه:

... حفظ الإمام الشافعي - رحمه الله - القرآن، فما من حرف مرَّ به إلا وهو يعلم معناه والمراد منه... وقال ابن عبد الحَكَم: سمعت الشافعي يقول:

(1) عائض بن عبد الله القرني، سلسلة القمم لأهل الهمم، 4 / 11.

قرأت على إسماعيل بن قسطنطين، وقال: قرأت على شبل، وقال شبل: قرأت على عبد الله بن كثير، وهو على مجاهد، ومجاهد على ابن عباس.

... وقال الكرابيسيُّ: بتُّ مع الشافعي غير ليلةٍ، وكان يصلّي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمرُّ بآية رحمةٍ إلاّ سأل الله، ولا يمرّ بآية عذاب إلاّ تَعوَّذ منها.

شيوخ الشافعي:

... تتلمذ الإمام الشافعي لعدد غير قليل من الشيوخ فأخذ عليهم وروى عنهم كثير من علومه، نذكر منهم:

مالك بن أنس:

أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ولد سنة 93هـ من الهجرة، وهو شيخ العلماء وأستاذ الأئمة، وكان بيته بيت علم، فجده الأعلى أبو عامر صحابي جليل، وجده الأسفل مالك من كبار علماء التابعين، تبحر في علم الحديث والتفقه في الكتاب والسنة، ويعد الشافعي ممن أخذ عنه العلم. وقد عرض عليه " الموطَّأ " حفظًا. توفي في الليلة الرابعة عشرة من ربيع الثاني سنة 179هـ ودفن بالبقيع، وله من العمر 86 سنة.

المَاجِشُون:

عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة التيمي، له كتب مصنفة رواها عنه ابن وهب، وكان الماجشون أصبهانياً نزل المدينة وكان من العلماء الربانيين. توفي سنة 164هـ.

مسلم بن خالد الزنجي:

... أبو خالد المخزومي المشهور بالزنجي فقيه " مكة "، تفقه وأفتى وتصدر للعلم وهو الذي أذن للشافعي في الإفتاء، حدث عنه الشافعي وكان فقيهاً، عابداً، يصوم الدهر. مات سنة 180هـ. وله 80 سنة.

إبراهيم بن سعد:

إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، شيخ الشافعي الحافظ الإمام أبو إسحاق الزهري المدني، ولي قضاء المدينة وروى عنه من الكبار شعبة والليث بن سعد وعاش 75سنة. توفي سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة.

إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي الفقيه:

أبو إسحاق الأسلمي المدني أحد الأعلام، روى عن الزهري وخلق كثير حدث عنه الشافعي وابن جريج وهو من شيوخه قال عنه الشافعي: كان قدرياً، وقال عنه أحمد بن حنبل: قدريٌ جهمي كل بلاء فيه ترك الناس حديثه. توفي سنة 184هـ.

سفيان بن عيينة:

سفيان بن عيينة بن ميمون العلامة الحافظ أبو محمد الهلالي الكوفي، محدث الحرم. ولد سنة سبع ومائة، وطلب العلم في صغره، حدث عنه الشافعي والزعفراني والرملي، وخلق لايحصون، وكان إمام الحجة حافظاً واسع العلم كبير القدر، وقد حج سبعين سنة. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

مات سنة 198هـ.

إسماعيل بن جعفر:

إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري قارئ أهل المدينة ومؤدب علي بن المهدي ببغداد تولى إمارة الحج غير مرة، وكان أسن من الرشيد بشهور..

تلاميذ الشافعي:

كثر تلاميذ الإمام الشافعي ممن رووا عنه ونهلوا من فيض علمه نذكر منهم:

أبو بكر الحُميدي:

هوأبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي المكي المعروف بالحميدي، رحل مع الشافعي من مكة إلى مصر ولزمه حتى مات، ورجع مكة يفتي إلى أن توفي بها سنة 219هـ. روى عن الشافعي أن الشعرة الواحد يجب فيها ثلث مد، وفي الشعرتين ثلثان في الحج.

أبو عبيد القاسم بن سلام:

له صحبة مع الشافعي وكتب كتبه وكان بغدادي الأصل وله اختيار ولم يُجرَّد للشافعي. توفي بمكة سنة 224هـ وهو ابن 73 سنة.

أحمد بن حنبل:

هو أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني إمام أهل السنة يقول فيه الشافعي: " خرجت من العراق، فما تركت رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أورع، ولا أتقى من أحمد بن حنبل. ولد في مدينة بغداد سنة أربع وستين ومائة، كفلته أمه بعد وفاة والده، وأخذ العلم من يحيى بن معين، وإسحاق ابن راهويه، والشافعي، وغيرهم وقد كان الشافعي يُعَظِمه. توفي سنة 241هـ، وله من العمر 77 سنة.

من أبرز تلاميذ الشيخ الشافعي:

لقد اشتهرت جلالة الشافعي رحمه الله في العراق وسار ذكره في الآفاق واعترف له العلماء وعظمة مكانته عند الخلفاء وولاة الأمر، وعكف عليه للاستفادة منه الصغار والكبار والأئمة والأخيار، وتمسكوا بطريقته ومنهم:

البُوَيْطِي:

... هو يوسف بن يحيى القرشي البُوَيْطِيُّ المصري الفقيه، صاحب الشافعي، وكنيته أبو يعقوب.

... قال الذهبي - في " السير " : الإمام العَلاَّمة سَيِّدُ الفقهاء، يوسف

أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مُدَّةً وتخرَّجَ به، وفاق الأقْرَانَ.

... روى - رحمه الله - عن: عبد الله بن وهب، ومحمد بن إدريس الشافعي.

ولم تذكر الكتب التي ترجمت له سِوَى ابن وهب، والشافعي من شيوخه.

ذِكْرُ مَنْ وَثَّقَهُ، وأَثْنَى عَلَيْهِ:

... قال ابن أبي حاتم: سُئِلَ عنه أبي؟ فقال: صدوق.

... وقال ابن عبد البر: كان من أهل الدِّين والعِلم والفهم والثقة، صَلِيباً في السُّنَّةِ، يَرُدُّ على أهل البِدَع، وكان حَسَنَ النَّظَر.

وقال الذهبي: مات الإمام البويطي في قيده مسجوناً بـ " العراق " في سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

وممن أرَّخَ وفاته في هذه السَّنة أيضاً الخطيب، وقال:هذا القول في وفاته أصح، وقد ذكره هكذا غير واحد.

أبو ثَوْرٍ:

إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي من رواة القديم، قال أحمد بن حنبل:أعرفه بالسُّنة منذ خمسين سنة، قال وهو عندي كسفيان الثوري، مات سنة أربعين ومئتين، وكان أبو ثور على مذهب الحنفية، فلما قدم الشافعي بغداد تبعه وقرأ كتبه ويسر علمه. وله مصنفات كثيرة يَذكر فيها الإختلاف ويحتجُّ لاختياره.

حرملة بن يحيى:

... هو حرملة بن يحيى بن عبدالله بن حرملة المصري التُّيجيبي صاحب الشافعي، كان إماماً حافظاً للحديث والفقه، ولد سنة ست وستين

ومئة، صنف المبسوط والمختصر المعروف به، توفي ستة ثلاث وأربعين ومائتين....

المزني:

... أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني، المصري. ولد سنة خمس وسبعين ومائة كان إماماً ورعاً وقال الشافعي فيه: لو ناظر الشيطان لغلبه، صنف المبسوط والمختصر والمنثور والترغيب في العلم وغيرها. وصنف كتاباً مفرداً على مذهبه لا على مذهب الشافعي. توفي سنة أربع وستين ومائتين. ودفن بالقرب من قبر الإمام الشافعي.

الزعفراني:

... أبو علي الحسن بن محمد بن الصبَّاح الزعفراني، كان إماماً في اللغة، وكان يذهب إلى مذهب أهل العراق فتركه وتفقه للشافعي. قرأ على الشافعي الكتاب كله نيفاً على ثلاثين جزءًا. وكتبه عنه، وهو الكتاب المعروف بالبغدادي وبالقديم، ويقال لكتابِهِ المصريِّ الذي كتبه بمصر الجديد. مات سنة ست وستين ومائتين.

الرَّبِيعِ بْن سُلَيْمَان:

... هو: الربيع بن سليمان بن عبد الجَبَّار بن كامل المرادي، مولاهم، المصري المؤذِّن، صاحب الإمام الشافعي، وراوي كتبه... قال الإمام الذَّهبي: صاحب الإمام الشافعي، وناقل علمه، وشيخ المُؤَذِّنين بجامع " الفسطاط "، ومستملي مشايخ وقته.

وقد أجمعت المَصَادِرُ التي ترجمت له على أن كنيته: أبو مُحَمَّدٍ.

وكان مَوْلِدُهُ - كما ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في " السير " - في سنة أربع وسبعين ومائة، أو قبلها بعام، وتوفي يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين.

روى عن عَدَدٍ كبير من الشيوخ. وخلق كثير.

والحسين بن علي الكرابيسي ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وقد سبق الحديث عنهما.

مكانته العلمية:

... حاز الإمام الشَّافعي من أَلْوَان الثقافة وفنون العلم والمعرفة، ما لم يظفر به أحد غيره من الأئمة؛ لأمرين:

... أحدهما: أصالة نظره وعمق تفكيره ووفور عقله، الأمر الذي ساعده على الإفادة مما يحيط به، ولقد صدق القَاسِمِ بن سلاَّم، حيث يقول: " ما رأيت رجلاً قَطُّ أعقل من الشَّافعي ".

... وثانيهما: كثرة أسْفَاره إلى " اليمن "، و" العراق "، و" مصر "، واتصاله المستمر بالعلماء، حيث نهل من علومهم ومعارفهم شيئاً عظيماً.

... وكانت نتيجةُ التَّرحال أن نال ثقافةً واسعةً في اللغة، والأدب، والحديث، والفقه على طريقتي أهل الحديث وأهل الرأي؛ كما أنه نال ثقافة اجتماعيةً اكتسبها من مشاهدة حياة البدو في البادية، والحضارة الأوليَّة في " الحجاز "، و" اليمن "، والحضارة العريقة المعقدة المركَّبة في كل من " العراق " و " مصر ".

أصول المذهب الشافعي:

... كان الإمام الشافعي في بداية طلبه للعلم يعد نفسه تلميذاً للإمام مالك بن أنس، وأحد رجال مدرسته، إلى أن قَدِمَ " العراق " للمرة الثانية، فأسس هناك مذهباً مستقلاً.

... وقد دَرَسَ الشافعي مذاهب المتقدِّمين، وبحث بدقة متناهية مسلك المدرسَتَيْن: مدرسة الحديث، ومدرسة الرأي، وأحدث بعد هذا التمحيص طريقة نقْدية جديدة جمعت بين مميزات المدْرَستين؛ وبذلك كوّن مركزاً وسطاً بين أهل الرَّأي، وأهل الحديث.

أصول المذهب:

... قال الإمام الشافعي في " الأم ": " الأصل: قرآن أو سنة، فإن لم يكن فقياسٌ عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسولُ الله، وصحَّ الإسناد به - فهو المنتهى، والإجْمَاع أكبر من الخبر الفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احْتَمل المعاني فما أشبه ظاهره أوْلاها به، وإذا تكافأت الأحَادِيث فأصحُّها إسناداً أولاها، وليس المنقطع بشيءٍ ما عدا منقطع ابن المسيِّب، ولا يقاس أصلٌ على أصلٍ، ولا يقال للأصل: لِمَ وكيف؟ وإنما يقال للفرع: لِمَ؟ فإذا صحَّ قياسُه على الأصْل صحَّ وقامت به الحجَّة ".

... ويؤخذ من هذا الكلام أن أصول مذهبه: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس؛ لكن انفرد بِمَسْلك منْفَرد في طريقة العمل بكل منها، وهذا لا يعني الحَصْر؛ بل قال بِحُجِّية قولِ الصَّحابي، والعُرْف، والاستِصْحَاب، أيضاً.

... وعن أصول مذهب الشافعي يقول الأستاذ الشيخ علي الخفيف:

... وقد امتاز مذهب الشافعي بأصوله التي ذكرها صاحبه، ففصلها، وناضل عنها في كتابه الأم، والرسالة التي وضعها في هذا الغرض، فكانت أصولاً لمذهبه مقطوعاً بها غير مظنونة، مروية عن الشافعي نفسه، غير مستنبطة من النظر في مذهبه.

... وفيما يلي نشير إلى أصول المذهب الشافعي في إيجاز:

1 - **الكتاب**: وقد عَدَّ الشافعي(كغيره من الفقهاء، والقرآن المصدر الأول للتشريع لا يُقدم عليه سواه، فهو المنبع الأول لاستقاء الفقه، والشافعي يحتج بظاهر الكتاب، ما لم يقم دليل على أن المراد بالآية غير ظاهرها

2 - **السُّنة**: ذهب الإمام الشافعي إلى القول بحجية خبر الواحد ودافع عن العمل به دفاعاً شديداً، ما دام راويه ثقة ضابطاً، وما دام الحديثُ

متصلاً برسول الله، وأخذ على الحنفية أنهم قدموا القياس عليه.

... ويرى أن السنة إذا صحَّت يجب اتباعها اتباعَ القرآن، لكن لا يرى العمل بالمرسل إلا بشروطٍ: كأن يكون من مراسيل سَعِيد بن المسيِّب.

3- **الإجماع**: ويعني عند الشافعي: عدم العلم بالخلاف على أساس أن العلم بالاتِّفاق غير ممكن.

... وقد ردّ الشافعي ما ذهب إليه شيخه الإمام مالك، من اعتباره إجماع أهل " المدينة " حجة، وأصلاً من أصُول الفقه.

4- **قول الصَّحابي**: احتج الشافعي - في قوله القديم - بأقوال الصَّحابة، أمَّا في الجديد: فالمعروف عنه - كما يقول كثير من أصحابه - أنه لم يحتج به على أساس أنه نقل أقوالاً لهم ثم خَالفها.

... وقد ذهب ابن القيم إلى خلاف ذلك، حيث قال: إن كلامَ الشَّافعي – في الجديد -: " العلمُ طبقات: الأولى: الكتاب والسنة، والثانية: الإجماع فيما ليس كتاباً ولا سنة، الثالثة: أن يقول صحابي، فلا يعلم له مخالفٌ من الصحابة، الرابعة: اختلاف الصحابة، الخامسة: القياس " - يدل على أن قول الصحابي حجة في وقوله الجديد أيضاً.

... قال الإمام في " الأم ": ما كان الكتاب والسنة موجودين، فالعذر عمن سمعهما مقطوع إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك، صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله أو واحدٍ منهم، ثم كان قول الأئمة: أبي بكر، أو عمر، أو عثمان - إذا صرنا فيه إلى التقليد - أحب إلينا؛ وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة، فنتبع القول الذي معه الدلالة؛ لأن قول الإمام مشهور بأنه يلزمه الناس، ومن لزم قوله الناسُ كان أشهر ممن يفتي الرجل أو النفر، وقد يأخذ بفتياه أو يدعها، وأكثر المفتين يُفْتُون للخاصة في بيوتهم ومجالسهم، ولا تُعني العامةُ بما قالوا عنايتهم بما قال الإمام.

5- **القياس**: كان الشَّافعي أولَ من تكلَّم في القياس، وضبط قواعده، وبَيَّنَهَا؛ فهو وإن لم يعرِّفه بالحد، ولا بالرسم التامَّ - إلا أنه وضحه بالأمثلة، والتَّوضيح بالمثال من قبيل الرسم الناقص.

... وقد وقف الشَّافعي موقفاً وسطاً بين تشدُّد مالك، وتوسُّع أبي حنيفة، واشترط في الأخْذ به: أن تكون علَّته منضبطةً، ولا يكون في المَسْألة حديثٌ صحيحٌ، ولو كان من أخبار الآحاد.

6- **الاستصحاب**: عَمِل الإمام الشافعي بالاستصحَاب، وعده من مصادر الأحكام.

7- **العرف**: تأثر فقه الشافعي بالأعْرَاف السائدة في " مصر " في عَهْده؛ فرجع عمَّا بناه من أحكام فقهية على أعراف وعادات العراقيين؛ وهذا يعني أنَّ الشافعي يعتبر العرف مصدراً من مصادر الأحْكَام.

8- **الاستحسان**: لم يأخذ الشافعي - كما هو المعروف عنه - بالاستِحْسَان، بل نَقِمَ عليه وعلى من يقُولُ به، حتى قال: " من استحسن فقد شَرَّع ".

... غير أن الشافعي بني بعض المَسَائل الفقهيَّة على الاستحسان، منها قوله: استحسن أن تكون المتعة في حق العقيم ثلاثين درهماً، وقوله: أستحسن أن يؤجَّل الشفيع ثلاثاً.

... وفي السارق قال: إذا أخرج يده اليُسرى بدل اليُمْنَى فقطعت، القياس أن تقطع يمناه، والاستِحْسَان ألاَّ تقطع.

... وبناء على ذلك فإن الاستحسان الذي حمل عليه الشَّافعي وأنكره هو ما يستحسنه النَّاس ويشتهونه بغير دليل، وهذا ما لم يقل به أحد من المجتهدين.

كان الشافعي يقضي الساعات الطوال في دروس متصلة، ينتقل من علم إلى علم، يجلس في حلقته إذا صلى الفجر، فيأتيه من يريدون تعلم

القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء طلاب الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا انتهوا جاء بعدهم من يريدون تعلم العربية والعروض والنحو والشعر، ويستمر الشافعي في دروسه من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر!!

وكما كان الشافعي فقيهًا ومحدثًا كبيرًا، كان أيضًا شاعرًا رقيقًا فاض شعره بالتقرب إلى الله، فها هو ذا يستغفر الله ويدعوه قائلاً:

ولما قَسا قَلْبي وضاقَتْ مذاهبي ::: جعلتُ رجائي نحو عفوك سُلّمًا
تعاظَمَني ذَنْبي فلمَّا قِرَنْتُهُ ::: بعفْوِكَ ربِّي كان عفُوكَ أَعْظَما

ويوصي الشافعي من خلال شعره بألا نرد على السفيه قائلاً:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ::: فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه ::: وإن خليته كمدًا يموت

ويصور عزة نفسه، وإن كانت ثيابه قديمه بالية، فتحتها نفس أبية عزيزة غالية لا مثيل لها فيقول:

عليَّ ثياب لو يباع جميعها بفلس ::: لكان الفلس منهن أكْثَرا
وفيهن نفسٌ لو يُقاسُ ببعْضِها ::: نفوسٌ الورى كانت أجلَّ وأكْبَرا

ومرض الشافعي، وقربت ساعة وفاته؛ فدخل عليه أحد أصحابه وقال له: كيف أصبحت؟ فأجاب الشافعي: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ومن كأس المنية شاربًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الكريم سبحانه واردًا، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها.

ومات الشافعي ليلة الجمعة من آخر رجب عام 204هـ، وبعد صلاة العصر خرجت الجنازة من بيت الشافعي (بمصر) مخترقة شوارع الفسطاط وأسواقها، حتى وصلت إلى درب السباع؛ حيث أمرت السيدة نفيسة - رضي الله عنها - بإدخال النعش إلى بيتها، ثم نزلت إلى فناء الدار

وصلت عليه صلاة الجنازة، وقالت: رحم الله الشافعي إنه كان يحسن الوضوء [1].

مواقف من حياة الشافعي:

الشافعي ومحمد بن الحسن:

يقول الإمام الشافعي: ذاكرت محمد بن الحسن يومًا، فدار بيني وبينه كلام واختلاف، حتى جعلت أنظر إلى أوداجه تدر، وتتقطع أزراره.

ويقول محمد بن الحسن: إن كان أحد يخالفنا فيثبت خلافه علينا فالشافعي، فقيل له: فلم؟ قال: لبيانه وتثبته في السؤال والجواب والاستماع.

تلك هي بعض نماذج من آداب علماء الأمة، نستنبط منها: أن خلف الأمة في قرون الخير كان يسير حذو السلف، والكل يستقي من أدب النبوة، ولم يكن أدب السلف الصالح يقتصر على تجنب التجريح والتشنيع، بل كان من الآداب الشائعة في ذلك الجيل من العلماء التثبت في أخذ العلم واجتناب الخوض فيما لا علم لهم به، والحرص على تجنب الفتيا خوفًا من الوقوع في الخطأ. قال صاحب القوت: وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلاّ ودّ ان أخاه كفاه ذلك. وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر حتى ترجع إلى الذي سأل عنها أول مرة.

مالك والشافعي:

يقول الإمام الشافعي: مالك بن أنس معلمي، وعنه أخذت العلم، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد آمن علي من مالك بن أنس وكان يقول: إذا جاءك الحديث من مالك فشد به يديك، كان مالك بن أنس إذا شك في

(1) النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة.

الحديث طرحه كله.

هذا أفضل فتيان زمانه. :

كان ابن عيينة هو من هو في مكانته إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا التفت إلى الشافعي وقال: سلوا هذا. وكثيرًا ما كان يقول إذا رآه: هذا أفضل فتيان زمانه. وحين بلغه نبأ وفاة الشافعي قال: إن مات محمد بن إدريس فقد مات أفضل أهل زمانه.

أدعو الله للشافعي حتى في صلاتي:

وكان يحيى بن سعيد القطان يقول: أنا أدعو الله للشافعي حتى في صلاتي. وكان عبد الله بن عبد الحكم وولده على مذهب الإمام مالك، ولكن هذا لم يمنع عبد الله بن الحكم من أن يوصي ولده محمدًا بلزوم الإمام الشافعي حيث قال له: الزم هذا الشيخ (يعني الشافعي) فما رأيت أحدًا أبصر بأصول العلم أو قال: أصول الفقه منه. ويبدو أن الولد قد أخذ بنصيحة أبيه حيث يقول: لولا الشافعي ما عرفت كيف أرد على أحد، وبه عرفت ما عرفت، وهو الذي علمني القياس رحمه الله فقد كان صاحب سنة وأثر، وفضل وخير، مع لسان فصيح، وعقل صحيح رصين.

كالشمس للدنيا:

عن عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال: يا بني: كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

أما يستحيي أبوك مما يفعل!:

وعن صالح بن الإمام أحمد قال: لقيني يحيى بن معين فقال: أما يستحيي أبوك مما يفعل؟ فقلت: وما يفعل؟ قال: رأيته مع الشافعي والشافعي راكب، وهو راجل آخذ بزمام دابته. فقلت لأبي ذلك، فقال: إن لقيته فقل: يقول لك أبي: إذا أردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب

الآخر.

ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت:

وعن أبي حميد بن أحمد البصري قال: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث. فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت شيء فيه (ثم قال: أي أحمد) قلت للشافعي: ما تقول في مسألة كذا وكذا فأجاب فيها، فقلت: من أين قلت؟ هل فيه حديث أو كتاب؟ قال: بلى فنزع في ذلك حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث نص.

وكان أحمد رحمه الله يقول: إذا سئلت في مسالة لا أعرف فيها خبرًا قلت فيها: يقول الشافعي، لأنه إمام عالم من قريش.

وعن داود بن علي الأصبهاني قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لقيني أحمد بن حنبل بمكة فقال: تعالى حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله.. فأراني الشافعي.

كان ذلك رأي أحمد بن حنبل في الشافعي، ولا غرو فأن يكون التلميذ معجبًا بأستاذه معترفًا له بالفضل، ولكن الشافعي نفسه لم يمنع تتلمذ أحمد عليه من أن يعترف له بالفضل والعلم بالسنة فيقول له: أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحًا فأعلموني إن يكن كوفيًا أو بصريًا أو شاميًا، أذهب إليه إذا كان صحيحًا.

وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه (تعظيمًا له) بل يقول: (حدثنا الثقة من أصحابنا أو أنبأنا الثقة أو أخبرنا الثقة) [1].

ادفع إليه الدنانير التى معك:

كان الشافعي راكبًا على حمار فمر على سوق الحدادين فسقط سوطه من يده فوثب إنسان فمسحه بكفه وناوله إياه فقال لغلامه: ادفع إليه الدنانير

(1) طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ص 32 - 33.

التى معك فما أدري أكانت سبعة أو تسعة.

امعك من نفقتنا شيء!:

قال وكنا يومًا مع الشافعي فانقطع شسع نعله فأصلحه له رجل فقال يا ربيع: أمعك من نفقتنا شيء؟ قلت: نعم، قال: كم؟ قلت: سبعة دنانير قال: ادفعها إليه.

تشهوا ما أحببتم:

وقال أبو سعد: كان الشافعي من أجود الناس وأسخاهم كفًا كان يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلواء ويقول لنا: تشهوا ما أحببتم فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون فيقول بعض أصحابنا: اعملي اليوم كذا وكذا وكنا نحن نأمرها.

وقال الربيع: كان الشافعي إذا سأله إنسان شيئًا يحمر وجهه حياء من السائل ويبادر بإعطائه رحمه الله ورضي عنه.

فلا تطفئه بالمعصية:

قال له شيخه مالك بن أنس رضي الله عنه: إن الله عز وجل قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بالمعصية.

اتق الله واجتنب المعاصي:

وقال الشافعي: لما رحلت إلى مالك فسمع كلامي نظر إلي ساعة وكانت لمالك فراسة فقال: ما اسمك؟ قلت: محمد قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن فقلت: نعم، وكرامة فقال: إذا كان غدًا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ فقلت: إني أقرأه ظاهرًا فغدوت إليه وابتدأت فكلما تهيبت مالكًا وأردت أن أقطع أعجبته قراءتي وأغراني بقول زد يا فتى حتى قرأته عليه في أيام يسيرة ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك رضي الله عنه ثم ذكر خروجه إلى اليمن.

يجب أن تكون قاضيًا:

وفي رواية فقرأته عليه وربما قال لي في شيء قد مر أعد حديث كذا فأعيده حفظًا وكانه أعجبه فقال أنت يجب أن تكون قاضيا.

قلت من رهطك:

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قبل حلمي فقال لي: يا غلام فقلت: لبيك يا رسول الله قال: ممن أنت؟ قلت: من رهطك قال: ادن مني فدنوت منه ففتح فمي فأمر من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال: امض بارك الله فيك فما أذكر أني لحنت في حديث بعد ذلك ولا شعر.

يا رسول الله بقول من آخذ:

وعن أبي الحسن علي بن أحمد الدينوري الزاهد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله بقول من آخذ فأشار إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: خذ بيد هذا فأت به ابن عمنا الشافعي ليعمل بمذهبه فيرشد ويبلغ باب الجنة ثم قال الشافعي بين العلماء كالبدر بين الكواكب.

وقال الشافعي: ما ناظرت أحدًا قط على الغلبة وفي رواية ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة وقال أبو عثمان محمد بن الشافعي: ما سمعت أبي ناظر أحدا قط فرفع صوته.

فحمل كتبي فبثها في الهواء:

وقال الربيع: رأيت من الشافعي ما لا أحصى وكان إذا انصرف اتشح بردائه ووضعت له منارة قصيرة واتكأ على وسادة وتحته مضريتان ويأخذ القلم فلا يزال يكتب وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: رأيت في المنام كأن آتيا أتاني فحمل كتبي فبثها في الهواء فسألت بعض المعبرين فقال إن صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلاد الإسلام إلا ودخل علمك فيه.

ما فعل الله بك!:

وقال الإمام الحافظ محمد بن مسلم بن داره بالراء لما مات أبو زرعة الرازي رأيته في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قال لي الجبار سبحانه وتعالى ألحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله الأول مالك والثاني الشافعي والثالث.

أحمد بن حنبل وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الهاشمي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال الشافعي في الجنة أو من أهل الجنة.

ليس ثم أكبر منه:

وقال أبو العباس الأصم رأيت عبد الله بن صالح في المنام وذكرت الشافعي فأشار عبد الله بيده نحو السماء وقال: ليس ثم أكبر منه [1].

إن كان منكم فلم تغلبوا وإن كان عليكم فتأهبوه:

وقال علي الرازي: حج، بشر المريسي فلما قدم قيل له: من لقيت بمكة؟ قال: رأيت رجلاً إن كان منكم فلن تغلبوا وإن كان عليكم فتأهبوه وخذوا حذركم وهو محمد بن إدريس الشافعي وقال المريسي مع الشافعي نصف عقل أهل الدنيا.

وقال ما رأيت أعقل من الشافعي وقال ما رأيت أمهر من الشافعي.

وقال رأيت بمكة فتى لئن بقي ليكونن رجل الدنيا [2].

رحلة الشافعي في طلب العلم:

عن زكريا بن يحيى البصري، ويحيى بن زكريا بن جبرية النيسابوري كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية. قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كنت - ويكتبون ألمتهم فإلى أن يفرغ المعلم من

(1) الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، دار النشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة النشر 1996، 1/ 85.
(2) الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 1/ 77 - 78.

الإملاء عليهم - قد حفظت جميع ما أملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً. قال: ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل أكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث وأجئ إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً، ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله: عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، فقلت: فمن بقي نقصد؟ فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ. قال: فوقع في قلبي فعمدت إلى الموطإ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس قال: فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأ قال: يا فتى إن مشى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه فقلت: - أصلح الله الأمير - إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. قال: هيهات، ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا. قال: فواعدته العصر وركبنا جميعاً، فوالله لكان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق. قال: فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إني بالباب. قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة. قال: فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته، ثم

إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالي الكتاب، فبلغ إلى هذا: إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع، رمى بالكتاب من يده ثم قال: سبحان الله! أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت: - أصلحك الله - إني رجل مطلبي ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد. فقال لي يا محمد. اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال: نعم كرامة، إذا كان غداً تجئ ويجئ من يقرأ لك. قال: فقلت أنا أقوم بالقراءة. قال: فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن، وكان بها وال من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً، وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم. قال: وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا وإني أخاف أن يخرجوا، وإن ههنا رجلاً من ولد شافع المطلب لا أمر لي معه ولا نهي. قال: فكتب إليه هارون: أن احمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم. قال: فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن. قال: فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية، ثم التفت محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين، هذا المطلبي، لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن. فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني، ولست القادر على ما أريد منك، يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين: أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده أيهما أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه. قال: قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين. قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو

المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم. قال: فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال: يا بن إدريس: كيف علمك بالقرآن؟ قلت: عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتداءه، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه، وما خوطب به العام يراد به الخاص، وما خوطب به الخاص يراد به العام.

فقال لي: والله يا بن إدريس لقد ادعيت علمًا فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البري من البحري، والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته. قال: فكيف علمك بأنساب العرب. قال: فقلت إني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين. قال: لقد ادعيت علماً فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظة لطاوس اليماني فوعظته بها، فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه. قال: فلحقني هرثمة وكان صاحب هارون فقال: اقبل هذه مني. قال: فقلت له إني لا آخذ العطية ممن هو دوني، وإنما آخذها ممن هو فوقي. قال: فوجد في نفسه. قال: وخرجت كما أنا حتى جئت منزلي فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت: اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إلي. قال: فكتبت لي ووجه بها إلي.

قال: اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم. قال: واجتمعنا في ذلك المكان. قال وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكنه. قال: فاندفع يعرض بي ويذم أهل المدينة فقال: من أهل المدينة؟ وأي شيء يحسن أهل المدينة؟ والله لقد وضعت كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمت أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الإبل لصرت حتى

أرد عليه. قال الشافعي: فقلت إن أنا سكت نكست رؤوس من هاهما من قريش، وإن أنا رددت عليه أسخطت على السلطان، ثم إني استخرت الله في الرد عليه، فتقدمت إليه فقلت: - أصلحك الله - لم طعنك على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة؟ إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك بن أنس فألا ذكرت ذلك الرجل بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله وكلهم على خلاف ما ادعيته، وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعته على أهل المدينة، فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم، خطأ إلى آخره، قلت في شهادة القابلة كذا وكذا وهو خطأ، وفي مسألة الحامل كذا وكذا وهو خطأ، وقلت في مسألة كذا، وكذا وكذا وهو خطأ، فاصفرَّ محمد بن الحسن ولم يحر جواباً. وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان فضحك وقال: ماذا ننكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن. قال: فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال: ما تقول في رجل دخل منزل رجل فرأى بطة ففقأ عينها، ماذا يجب عليه؟ قال: قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها، فيقوم ما بين القيمتين، ولكن ما تقول أنت وصاحبك في رجل محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال: ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك. قال: فصاح به محمد وقال له: ألم أقل لك لا تسأله؟ قال: ثم أدخلنا على الرشيد فلما أن استوينا بين يديه قال لي: يا أبا عبد الله، تسأل أو أسأل؟ قال: قلت ذاك إليك. قال: فأخبرني عن صلاة الخوف أواجبة هي؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله عز وجل:{وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ } [النساء: ١٠٢]. فدل أنها واجبة. قال: وما تنكر من قائل قال لك: إنما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو فيهم، فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت تلك الصلاة؟ فقلت: وكذلك قال الله عز وجل لنبيه:{خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا } [التوبة: ١٠٣]، فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت عنهم الصدقة؟ فقال: لا. قلت: وما الفرق

بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم هو المأمور بهما جميعاً؟ قال: فسكت ثم قال: يأهل المدينة ما أجرأكم على كتاب الله؟ فقلت: الأجرأ على كتاب الله من خالفه. قال: فقد قال الله عز وجل:{وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ} [الطلاق: ٢]، فقلتم أنتم: نقضي باليمين مع الشاهد فقلت: لكنا نقول بما قال الله، ونقضي بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنك أنت إذا خالفت كتاب قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خالفت كتاب الله. قال: وأين لكم رد اليمين؟ قال: قلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: وأين؟ قلت: قصة حويصة ومحيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة القتيل:♂**تحلفون وتستحقون دم صاحبكم؟**ـــ قالوا: لم نشهد ولم نعاين؟ قال:♂**فيحلف لكم يهود**ـــ، فلما أن نكلوا رد اليمين إلى اليهود. قال: فقال لي: إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: فقلت يا أمير المؤمنين، هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود. فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا بن الحسن، رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود؟. نطع وسيف، فلما رأيت الجد من أمير المؤمنين قلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإن الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه، وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: فسريت عنه. قال: ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار. قال: فقال لي: يا أبا عبد الله فعلتها؟ قال: فقلت: فكيف رأيتها بعد ذلك؟.

مناظرة إسحاق بن راهويه مع الشافعي رضي الله عنه:

حدث الآبري بإسناده: قال إسحاق بن راهويه: كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي: يا أبا يعقوب: قم حتى أريك رجلاً لم ترعيناك مثله. قال: فقمت فأتى بي فناء زمزم فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض تعلو وجهه السمرة، حسن السمت، حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه فقال له: يا أبا عبد الله، هذا إسحاق بن

راهويه الحنظلي فرحب بي وحياني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم أعجبني حفظه قال: فلما أن طال مجلسنا قلت له: يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال: هذا هو الرجل، فقلت: يا سبحان الله، أقمتنا من عند رجل يقول: حدثنا الزهري، فما توهمت إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريب منه. فأتيت بنا إلى هذا الشاب أو هذا الحدث، فقال لي: يا أبا يعقوب اقتبس من الرجل، فإنه ما رأت عيناي مثله. قال الآبري: قال إسحاق: فسألته عن سكني بيوت مكة - أراد الكرى - فقال جائز. فقلت: إي يرحمك الله، وجعلت أذكر له الحديث عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كره كرى بيوت مكة وهو ساكت يسمع وأنا أسرد عليه. فلما فرغت سكت ساعة وقال: يرحمك الله، أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار؟ قال: فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه. قال الحاكم: فقال إسحاق: أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم، فقلت: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك. قال الحاكم: ولم يكن الشافعي عرف إسحاق، فقال الشافعي لبعض من عرفه: من هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه الخراساني. فقال له الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟ قال إسحاق: هكذا يزعمون. قال الشافعي: ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه. وقال الحاكم في خبر آخر: قال له الشافعي: لو قلت قولك احتجت إلى أن أسلسل أنا أقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول: عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك، هل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة؟. قال إسحاق لبعض من معه من المراوزة بلسانهم: مردك لا كما لا نيست، قرية عندهم بمرو يدعون العلم، وليس لهم علم واسع.

وقال الآبري: قال إسحاق لبعض من معه: الرجل مالاني، ومالان: قرية من قرى مرو وأهلها فيهم سلامة. قال الحاكم في خبره: فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبه إلى شيء. فقال تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال: ما جئت إلا للمناظرة. فقال له الشافعي: قال الله عز وجل:{لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ } [الحشر: ٨] الآية. نسب الدار إلى المالكين أو غير المالكين قال إسحاق: إلى المالكين. قال الشافعي: فقوله عز وجل أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**▬، أنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟. قال إسحاق: إلى مالك. فقال الشافعي: وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجامين فأسكنها، وذكر له جماعة من أصحاب صلى الله عليه وسلم اشتروا دور مكة

وجماعة باعوها. وقال إسحاق له: قال الله عز وجل:{سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ} [الحج: ٢٥]. فقال الشافعي: اقرأ أول الآية. قال:{وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ} [الحج: ٢٥]. قال الآبري: قال الشافعي: والعكوف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله:{لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ } [البقرة: ١٢٥]، والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله عز وجل: {وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ} [البقرة: ١٨٧]، فدل ذلك أن قوله عز وجل:{سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ} [الحج: ٢٥]، في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع. قال الحاكم: وقال الشافعي: ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز أن تنشد فيها ضالة ولا ينحر فيها البدن ولا تنثر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة. قال فسكت إسحاق ولم يتكلم. وفي خبر الآبري: فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار؟**▬. علمت أنه قد فهم ما ذهب عنا. قال إسحاق: ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرفته ذاك، ثم

نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة.

كيف أصبحت؟:

وحدث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ::: جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ::: بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ::: تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يقدر بإبليس عابد ::: فكيف وقد أغوى صفيك آدما؟

رضا الناس غاية لا تدرك:

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحًا، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه.

ليس هذا من كيسكم:

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد بن حنبل فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة، لنخوض معهم إذا خاضوا. فقال: اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة. قال: فقدم علينا الشافعي فمشوا إليه وسألناه شيئاً من كتبه، فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه فلما رآني قال: ما جاء بك يا صاحب حديث؟ قال: قلت: ذرني من هذا،

إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟، فناظرته فقطعته فقال: ليس هذا من كيسكم هذا من كلام رجل رأيته بمكة، معه نصف عقل أهل الدنيا.

وكان في السفرة دجاجتان:

وحدث الآبري بإسناد إلى المزني عن الشافعي قال: كنا في سفر بأرض اليمن فوضعنا سفرتنا لنتعشى وحضرت صلاة المغرب فقلنا نصلي ثم نتعشى، فتركنا سفرتنا كما هي، وكان في السفرة دجاجتان فجاء ثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا حرمنا طعامنا، فبينا نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه فبادرنا إليه لنأخذ ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه ليفة قد هيأها مثل الدجاجة.

على الرأس والعينين:

ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال: يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وحال وتغير وقال: ويحك، أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقل به، نعم على الرأس والعينين.

فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال: وسمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وتذهب عنه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي وجعل يردد هذا الكلام.

ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهباً وراجعاً:

وروي عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: دخلت بلدة اليمن فرأيت بها إنسانًا من وسطه إلى أسفله بدن واحد ومن وسطه إلى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلاً ورجعت فقيل لي: أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به؟ فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبًا وراجعًا.

ثلاثة تضني:

حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلاً عند الزعفراني ببغداد فكان الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويدفعها إلى الجارية فأخذها الشافعي منها يومًا وألحق فيها لونًا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق الجارية سرورًا بذلك وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهي ومن السنة أن يشيع المضيف الضيف إلى باب الدار وعلى المضيف إذا قدم الطعام إلى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل: ثلاثة تضني: سراج لا يضيء ورسول بطيء ومائدة ينتظر لها من يجيء ونزل الإمام الشافعي رضي الله عنه بالإمام مالك رضي الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له:

لا يرعك ما رأيت مني فخذ ::: ماء الضيف على المضيف فرض
أعرض طعامك وابذله لمن أكلا ::: واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما ::: من القليل فلست الدهر محتفلا [1]

الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها:

قال: الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه: كنا في مجلس القاضي

(1) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 399/1.

أبي العباس بن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وإنه بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة. ثم أنشأ يقول:

اثنان مضيا فبورك فيهما ::: عمر الخليفة ثم حلف السودد
الشافعي الألمعي محمد ::: إرث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس إنك ثالث ::: من بعدهم سقياً لنوبة أحمد

قال: فصاح القاضي وبكى وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلى نفسي. قال: فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة.

رأيت بالمدينة أربع عجائب:

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب. رأيت جدة لها إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلاً فلسة القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً، وكان بالمدينة والٍ وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاة؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس. فقال أهكذا؟ علي بالإمام فنصب بين العقابين وجعل يضرب والإمام يقول: - أعز الله الأمير - إيش جرمي، وهو يقول: حملنا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابه.

أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب:

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: - أصلحك الله - صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظني لمكرمة، ودفعت عني اعتذار يشوبه الكذب ثم قال: يا غلام، هات السبتية ثم قال: للمشي على الحفاء، على علة الوجاء في حر الرمضاء من

ذي طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

أرى راحة للحق عند قضائه ::: ويثقل يوماً إن تركت على عمد
وحسبك حظاً أن ترى غير كاذب ::: وقولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ::: وصاحبه الأدنى على القرب والعبد
يعش سيداً يستعذب الناس ذكره ::: وإن نابه حق أتوه على قصد

هذا جزاء من سب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يقال: إن الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول خلافة المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري بن الحكم البلخي - من قوم يقال لهم: الزط - مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه، وحسن كلامه وأدبه وحلمه، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتيان فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناس عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره، فأجاب الشافعي بجواز بيعه على أحد أقواله، ومنع فتيان منه، لأنه يمضي عتقه بكل وجه وهو أحد أقوال الشافعي، فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاق فتيان بذلك ذرعاً فشتم الشافعي شتماً قبيحاً فلم يرد عليه الشافعي حرفاً ومضى في كلامه في المسألة، فرفع ذلك رافع إلى السري، فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى، وشهد الشهود على فتيان بذلك، فقال السري: لو شهد آخر مثل الشافعي. على فتيان لضربت عنقه، وأمر فتيان فضرب بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه مناد ينادي: هذا جزاء من سب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إن قوماً تعصبوا لفتيان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من

أصحابه وبقى وحده، فهجموا عليه وضربوه فحمل إلى منزله، فلم يزل فيه عليلاً حتى مات.

قال ابن يونس: كان للشافعي ابن اسمه محمد، قدم مع أبيه مصر وتوفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل: كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان بن عيينة. ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين [1].

هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة:

وقف الشافعي - رحمه الله - موقفًا حكيمًا مسددًا مع أهل الكلام، فقال - رحمه الله تعالى -: " حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر، يُنادى عليهم ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام " [2].

وقال: " مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط، وتشريدهم في البلاد " [3].

إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء:

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي - رحمه الله: قصر الليث - رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب [4].

---

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 339/2 - 352.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 10 / 29، والبداية والنهاية 10 / 254، وفتاوى ابن تيمية 16 / 473.

(3) انظر: سير أعلام النبلاء 10 / 29.

(4) شرح العقيدة الطحاوية ص 510، وسير أعلام النبلاء 10 / 23. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423هـ، 364/1 - 367.

شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق!:

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي - وهو في مصر - فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي: أتدري أين أنت؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك؟ قال: لا. قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجمًا في السماء؟ قال: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خُلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فأخطأ فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا " هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله - تعالى -:{وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤]، فاستَدَلّ بالمخلوق على الخالق، ولا تَتكلف علم ما لم يبلغه عقلك.

فتاب الرجل [1] على يد الشافعي من علم الكلام، وأقبل على فقه الكتاب والسنة، وكان يقول بعد التوبة: " أنا خلق من أخلاق الشافعي " [2].

من كلام الشافعي:

ما تُقُرِّب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم.

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

---

(1) وهذا الرجل الذي تاب من علم الكلام على يد الشافعي، هو المزني، الإمام العلامة علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي، ولد سنة 175 هـ، وله المختصر في الفقه، وقد شرحه عدة من العلماء، توفي - رحمه الله - سنة 264 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 12 / 492.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء 10 / 25، 26، 31، 32.

العلم ما نفع ليس ما حفظ.

ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم؛

وجهة العلم: ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع أو في القياس على هذه الأصول ما في معناها.

العالم يسأل عما يعلم، وعما لا يعلم، فيثبّت ما يعلم، ويتعلّم ما لا يعلم والجاهل يغضب من التعلّم، ويأنف من التعليم.

كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه،

وكفى بالجهل شينًا أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه.

إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، جزاهم الله خيرًا، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل.

المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن.

إذا أنت خفت على عملك العجب، فانظر:

رضا من تطلب، وفي أي ثواب ترغب، ومن أي عقاب ترهب، وأي عافية تشكر، وأي بلاء تذكر. فإنك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال، صغر في عينك عملك.

إن الدنيا دحض منزلة، ودار مذلة، عمرانها إلى خرائب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرق موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار.

فافزع إلى الله، وارض برزق الله، لا تتسلف من دار بقائك إلى دار فنائك. فإن عيشك فيء زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك، وأقصر من أملك.

لولا المحابر، لخطبت الزنادقة على المنابر.

اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

رضا الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة من ألسنة الناس سبيل، فعليك بما ينفعك فألزمه.

ما رفعت من أحد فوق منزلته، إلا وضع مني بمقدار ما رفعت منه.

من استُغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان.

أصل العلم التثبت، وثمرته السلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة، وأصل الصبر الحزم، وثمرته الظفر، وأصل العمل التوفيق، وثمرته النجاح، وغاية كل أمر الصدق.

الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

الحسد إنما يكون من لؤم العنصر، وتعادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل.

ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، لأنه إن كان صغيرًا استحقروه، وان كان كبيرًا استهرموه.

ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته.

إذا ثبت الأصل في القلب، أخبر اللسان عن الفروع.

طبع ابن آدم على اللؤم، فمن شأنه أن يتقرّب ممن يتباعد عنه، ويتباعد ممن يتقرّب منه.

من واعظ أخاه سرًا، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية، فقد فضحه وخانه.

ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر، فيختار الخير، ولكن العاقل

الذي يدفع بين الشرّين فيختار أيسرهما.

- من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق كان كمن حضر الطاحون بغير قمح.

لا يعرف الرياء إلا المخلصون.

من نمّ لك نمّ عليك، ومن نقل إليك نقل عنك.

من تزيّن بباطل هتك الله ستره.

من كتم سرّه كانت الخيرة في يده.

قال رحمه الله: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وقال: من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

وقال: ما تقرب ألى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

وقال: ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة ولقد كنت أطلب القرطاس فيعسر علي.

وقال: لا يطلب أحدًا هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح.

وقال: تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه.

وقال: من طلب علمًا فليدقق لئلا يضيع دقيق العلم.

وقال: من لا يحب العلم لا خير فيه ولا يكون بينك وبينه صداقة ولا معرفة.

وقال: زينة العلماء التوفيق وحليتهم حسن الخلق وجمالهم كرم النفس.

وقال: زينة العلم الورع والحلم.

وقال: لا عيب بالعلماء أقبح من رغبهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم

فيما رغبتم فيه.

وقال: ليس العلم ما حفظ العلم ما نفع.

وقال: فقر العلماء فقر اختيار وفقر الجهال فقر اضطرار.

وقال: المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغائن.

وقال: الناس في غفلة عن هذه السورة:{إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾} [العصر: ٢].

وقال: الشافعي الظرف الوقوف مع الحق كما وقف.

وقال: ما كذبت قط ولا حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا.

وقال: ما تركت غسل الجمعة في برد ولا سفر ولا غيره.

وقال: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي.

وقال: من لم تعزه التقوى فلا عز له.

وقال: ما فزعت من الفقر قط.

وقال: طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد.

وقيل للشافعي: ما لك تدمن إمساك العصا ولست بضعيف فقال لأذكر أني مسافر يعني في الدنيا.

وقال: من شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة

وقال: من غلبته شدة الشهوة لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع

وقال: خير الدنيا والآخرة في خمس خصال غنى النفس وكف الأذى وكسب الحلال ولبس التقوى والثقة بالله عز وجل على كل حال.

وقال: أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان.

وقال: من أحب أن يفتح الله قلبه أو ينوره فعليه بترك الكلام فيما لا

يعنيه واجتناب المعاصي ويكون له خبئة فيما بينه وبين الله تعالى من عمل.

وفي رواية فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب.

وقال: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها

وقال ليونس بن عبد الأعلى: لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل فاخلص عملك ونيتك لله عز وجل.

وقال: لو أوصى رجل بشيء لأعقل الناس صرف إلى الزهاد.

وقال: سياسة الناس أشد من سياسة الدواب.

وقال: العاقل من عقله عقله عن كل مذموم.

وقال: لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي لما شربته ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة.

وقال: للمروءة أربعة أركان حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك

وقال: المروءة عفة الجوارح عما لا يعنيها.

وقال: أصحاب المروءات في جهد

وقال: من أحب أن يقضي الله له بالخير فليحسن الظن بالناس.

وقال: لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع بالديانة والأمانة والصيانة والرزانة.

وقال: أقمت أربعين سنة أسأل إخواني الذين تزوجوا عن أحوالهم في تزوجهم فما منهم أحد قال إنه رأى خيرًا.

وقال: ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته وقال: من صدق في أخوة أخيه قبل علله وسد خلله وغفر الله.

وقال: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا.

وقال: ليس سرور بعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل فراقهم.

وقال: لا تقصر في حق أخيك اعتمادًا على مودته.

وقال: لا تبذل وجهك إلى من يهون عليه ردك وقال: من برك فقد أوثقك ومن جفاك فقد أطلقك.

وقال: من نم لك نم بك ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك.

وقال: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل.

وقال: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

وقال: من سام بنفسه فوق ما تساوي رده الله تعالى إلى قيمته.

وقال: الفتوة حلي الأحرار.

وقال: من تزين بباطل هتك ستره.

وقال: التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام.

وقال: التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة.

وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

وقال: إذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها.

وقال: من كتم سره كانت الخيرة في يده.

وقال: الشفاعات زكاة المروءات.

وقال: ما ضحك من خطأ رجل إلا ثبت الله صوابه في قلبه.

وقال: أبين ما في الإنسان ضعفه فمن شهد الضعف من نفسه نال

الاستقامة مع الله تعالى.

وقال: قال رجل لأبي بن كعب رضي الله عنه: عظني فقال: واخ الإخوان على قدر تقواهم ولا تجعل لسانك مذلة لمن لا يرغب فيه ولا تغبط الحي الا بما تغبط به الميت.

وقال: من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله تعالى غدًا.

وقال: كن في الدنيا زاهدًا وفي الآخرة راغبًا واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج غدًا مع الناجين.

وقال: من كان فيه ثلاث خصال فقد أكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه وحافظ على حدود الله تعالى.

وقال لأخ له في الله تعالى يعظه ويخوفه: يا أخي إن الدنيا دحض منزله ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها للقبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها اعسار والإعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض بزرق الله تعالى ولا تستلف من دار بقائك في دار فنائك فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل أكثر من عملك وقصر من أملك.

وقال: أرجى حديث للمسلمين حديث أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﷺ **إذا كان يوم القيامة دفع الى كل مسلم يهودي او نصراني وقيل يا مسلم هذا فداؤك من النار** ﷺ رواه مسلم في صحيحه.

وقال: الاستنباط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة للعداوة فكن بين المنقبض والمنبسط.

وقال: ما أكرمت أحدًا فوق مقداره إلا اتضع من قدري عنده بمقدار ما زدت في إكرامه.

وقال: لا وفاء لعبد ولا شكر للئيم ولا صنيعة عند نذل.

وقال: صحبة من لا يخاف العار عار يوم القيامة.

وقال: عاشر كرام الناس تعش كريمًا ولا تعاشر اللئام فتنسب إلى اللؤم.

وقال له رجل: أوصني فقال: إن الله تعالى خلقك حرًا فكن حرًا كما خلقك.

وقال من سمع بأذنه صار حاكيًا ومن أصغى بقلبه كان واعيًا ومن وعظ بفعله كان هاديًا.

وقال: من الذل أشياء حضور مجلس العلماء بلا نسخة وعبور الجسر بلا قطعة ودخول الحمام بلا سطل وتذلل الشريف للدنيء لينال منه شيئًا وتذلل الرجل للمرأة لينال من مالها شيئًا ومداراة الأحمق فإن مداراته غاية لا تدرك

وقال: من ولي القضاء ولم يفتقر فهو لص

وقال: لا بأس على الفقيه أن يكون معه سفيه يسافه به.

وقال: إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقي الله عز وجل فاصطنعها إلى من يتقي العار [1].

من شعر الحكمة للشافعي:

هذه هي الدنيا:

تموت الأسد في الغابات جوعًا ::: ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينام على حرير ::: وذو نسب مفارشه التراب

دعوة إلى التنقل والترحال:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب ::: من راحة فدع الأوطان واغترب

(1) الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 1 / 74 - 78، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1417هـ ص 41 - 46.

سافر تجد عوضًا عمن تفارقه ::: وانْصَبْ فإن لذيذ العيش في النَّصب
إني رأيت ركود الماء يفسده ::: إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب ما افترست ::: والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ::: لملَّها الناس من عجم ومن عرب
والتِّبرُ كالتُّرب مُلقى في أماكنه ::: والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرّب هذا عَزّ مطلبه ::: وإن تغرب ذاك عزّ كالذهب

الضرب في الأرض:

سأضرب في طول البلاد وعرضها ::: أنال مرادي أو أموت غريبا
فإن تلفت نفسي فلله درها ::: وإن سلمت كان الرجوع قريبا

آداب التعلم:

اصبر على مر الجفا من معلم ::: فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة ::: تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ::: فكبر عليه أربعًا لوفاته
وذات الفتى والله بالعلم والتقى ::: إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

متى يكون السكوت من ذهب:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ::: فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرّجت عنه ::: وإن خليته كمدًا يموت

عدو يتمنى الموت للشافعي:

تمنى رجال أن أموت، وإن أمت ::: فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وما موت من قد مات قبلي بضائر ::: ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلد
لعل الذي يرجو فنائي ويدّعي ::: به قبل موتي أن يكون هو الردى

لا تيأسن من لطف ربك:

إن كنت تغدو في الذنوب جليدا ::: وتخاف في يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه ::: وأفاض من نعم عليك مزيدا

لا تيأسن من لطف ربك في الحشا ::: في بطن أمــك مضــغة ووليــدا
لو شاء أن تصلى جهــنم خالــدا ::: ما كان أَلْهــمَ قلبــك التوحيــدا

فوائد الأسفار:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ::: وسافر ففي الأسفار خمس فوائــد
تَفَرُّجُ هــم، واكتســاب معيشــة ::: وعلم وآداب، وصــحبة ماجــد

الوحدة خير من جليس السوء:

إذا لم أجد خــلا تقيــا فوحــدتي ::: ألذ وأشهى من غــوى أعاشــره
وأجلس وحــدي للعبــادة آمنــا ::: أقر لعيني مــن جلــيس أحــاذره

أدب المناظرة:

إذا ما كنــت ذا فضــل وعلــم ::: بما اختلــف الأوائــل والأواخــر
فنــاظر مــن تنــاظر في ســكون ::: حليمًــا لا تلــح ولا تكــابر
يفيدك ما اســتفادا بــلا امتنــان ::: من النكــت اللطيفــة والنــوادر
وإيــاك اللجــوج ومــن يرائــي ::: بأني قــد غلبــت ومــن يفــاخر
فــإن الشــر في جنبــات هــذا ::: يمــني بالتقــاطع والتــدابر

العلم مغرس كل فخر:

العلم مغرس كل فخــر فــافتخر ::: واحذر يفوتك فخر ذاك المغــرس
واعلم بأن العلــم لــيس ينالــه ::: مــن همــه في مطعــم أو ملــبس
إلا أخو العلم الــذي يُعــنى بــه ::: في حالتيــه عاريــا أو مكتســي
فاجعل لنفسك منه حظًــا وافــرًا ::: واهجر له طيب الرقــاد وعــبّسِ
فلعل يومًا إن حضــرت بمجلــس ::: كنت أنت الرئيس وفخر ذاك المجلسَ

نور الله لا يهدى لعاص:

شكوت إلى وكيع ســوء حفظــي ::: فأرشــدني إلى تــرك المعاصــي
وأخــبرني بــأن العلــم نــور ::: ونــور الله لا يهــدى لعــاص

لمن نعطي رأينا:

ولا تعطين الرأي مـــن لا يريـــده ::: فلا أنت محمود ولا الرأي نافعـــه

الذل في الطمع:

حســـبي بعلمـــي إن نفـــع ::: مـــا الـــذل إلا في الطمـــع!
مـــن راقـــب الله رجـــع ::: مـــا طـــار طـــير وارتفـــع
إلا كمـــا طـــار وقـــع!

الحب الصادق:

تعصي الإله وأنـــت تظهـــر حبـــه ::: هـــذا محـــال في القيـــاس بـــديع
لو كان حبـــك صـــادقا لأطعتـــه ::: إن المحـــب لمـــن يحـــب مطيـــع
في كـــل يـــوم يبتـــديك بنعمـــة ::: منه وأنت لشكر ذلـــك مضـــيع

فضل التغرب:

ارحل بنفسك من أرض تضام بهـــا ::: ولا تكن من فراق الأهل في حرق
فـــالعنبر الخـــام روث في موطنـــه ::: وفي التغرب محمول علـــى العنـــق
والكحل نوع من الأحجار تنظـــره ::: في أرضه وهو مرمى على الطـــرق
والكحل نوع من الأحجار تنظـــره ::: فصار يحمل بين الجفـــن والحـــدق

أيهما ألذ!:

سهري لتنقـــيح العلـــوم ألـــذ لي ::: من وصل غانيـــة وطيـــب عنـــاق
وصرير أقلامي علـــى صـــفحاتها ::: أحلى مـــن الـــدّوْكاء والعشـــاق
وألذ مـــن نقـــر الفتـــاة لـــدفها ::: نقري لألقي الرمل عـــن أوراقـــي
وتمـــايلي طربـــا لحـــل عويصـــة ::: في الدرس أشهى من مدامة ســـاق
وأبيت ســـهران الـــدجى وتبيتـــه ::: نومًا وتبغـــي بعـــد ذاك لحـــاقي

مشاعر الغريب:

إن الغريـــب لـــه مخافـــة ســـارق ::: وخضوع مـــديون وذلـــة موثـــق
فـــإذا تـــذكر أهلـــه وبـــلاده ::: ففـــؤاده كجنـــاح طـــير خـــافق

التوكل على الله:

توكلت في رزقي على الله خـــالقي ::: وأيقنت أن الله لا شـــك رازقـــي
وما يك من رزقي فليس يفـــوتني ::: ولو كان في قاع البحار العوامـــق
سيأتي بـــه الله العظـــيم بفضـــله ::: ولو، لم يكن من اللســـان بنـــاطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة ::: وقد قسم الـــرحمن رزق الخلائـــق

العلم رفيق نافع:

علمي معي حيثما يممـــت يـــنفعني ::: قلبي وعاء له لا بطـــن صـــندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ::: أو كنت في السوق كان العلم في السوق

توكل أمورك بنفسك:

ما حـــك جلـــدك مثـــل ظفـــرك ::: فتـــول أنـــت جميـــع أمـــرك
وإذا قصـــــــدت لحاجـــــــة ::: فاقصـــــد لمعتـــــرف بفضـــــلك

فتنة عظيمة:

فســـاد كـــبير عـــالم متـــهتك ::: وأكـــبر منـــه جاهـــل متنســـك
همـــا فتنـــة في العـــالمين عظيمـــة ::: لمـــن بهمـــا في دينـــه يتمســـك

دعوة إلى التعلم:

تعلم فلـــيس المـــرء يولـــد عالمًـــا ::: وليس أخو علم كمن هو جاهـــل
وإن كبير القـــوم لا علـــم عنـــده ::: صغير إذا التفت عليـــه الجحافـــل
وإن صغير القوم إن كـــان عالمًـــا ::: كـــبير إذا ردت إليـــه المحافـــل

إدراك الحكمة ونيل العلم:

لا يـــدرك الحكمـــة مـــن عمـــره ::: يكـــدح في مصـــلحة الأهـــل
ولا ينـــال العلـــم إلا فـــتى ::: خـــال مـــن الأفكـــار والشـــغل
لـــو أن لقمـــان الحكـــيم الـــذي ::: سارت بـــه الركبـــان بالفضـــل
بُلـــي بفقـــر وعيـــال لمـــا ::: فـــرق بـــين الـــتبن والبقـــل

أبواب الملوك:

إن الملوك بـــلاء حيثمـــا حلـــوا ::: فلا يكن لـــك في أبـــوابهم ظـــل
ماذا تؤمل من قـــوم إذا غضـــبوا ::: جاروا عليك وإن أرضيتهم ملـــوا
فاستعن بالله عن أبـــوابهم كرمـــا ::: إن الوقـــوف علـــى أبـــوابهم ذل

المهلكات الثلاث:

ثـــلاث هـــن مهلكـــة الأنـــام ::: وداعيـــة الصـــحيح إلى الســـقام
دوام مُدامـــــــــــة ودوام وطء ::: وإدخال الطعـــام علـــى الطعـــام

العلم بين المنح والمنع:

أأنثـــر درًا بـــين ســـارحة البـــهم ::: وأنظـــم منثـــورًا لراعيـــة الغـــنم
لعمري لئن ضُيعت في شر بلـــدة ::: فلست مُضيعًا فيهم غـــرر الكلـــم
لـــئن ســـهل الله العزيـــز بلطفـــه ::: وصادفت أهلاً للعلـــوم والحكـــم
بثثت مفيدًا واســـتفدت ودادهـــم ::: وإلا فمكنـــون لـــدي ومُكْتـــتم
ومن منح الجهال علمًـــا أضـــاعه ::: ومن منع المستوجبين فقـــد ظلـــم

العيب فينا:

نعيـــب زماننـــا والعيـــب فينـــا ::: ومـــا لزماننـــا عيـــب ســـوانا
ونهجو ذا الزمـــان بغـــير ذنـــب ::: ولو نطـــق الزمـــان لنـــا هجانـــا
وليس الذئب يأكل لحـــم ذئـــب ::: ويأكـــل بعضـــنا بعضًـــا عيانـــا

يا واعظ الناس عما أنت فاعله:

يا واعظ الناس عما أنـــت فاعلـــه ::: يا من يعد عليه العمـــر بـــالنفس
احفظ لشيبك من عيـــب يدنســـه ::: إن البياض قليل الحمـــل للـــدنس
كحامل لثيـــاب النـــاس يغســـلها ::: وثوبه غارق في الرجس والـــنجس
تبغي النجاة ولم تســـلك طريقتـــها ::: إن السفينة لا تجري على اليـــبس
ركوبك النعش ينسيك الركوب على ::: ما كنت تركب من بغل ومن فرس
يوم القيامـــة لا مـــال ولا ولـــد ::: وضمة القبر تنسي ليلـــة العـــرس

الصديق الصدوق:

إذا المـــرء لا يرعـــاك إلا تكلفـــا ::: فدعه ولا تكثـــر عليـــه التأســـفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحـــة ::: وفي القلب صبر للحبيب وإن جفا
فما كل من تهـــواه يهـــواك قلبـــه ::: ولا كل من صافيته لك قد صـــفا
إذا لم يكن صفو الـــوداد طبيعـــة ::: فـــلا خـــير في ود يجـــيء تكلفـــا
ولا خير في خـــل يخـــون خليلـــه ::: ويلقاه من بعـــد المـــودة بالجفـــا
وينكر عيشًا قـــد تقـــادم عهـــده ::: ويظهر سرًا كان بالأمس قد خفـــا
سلام على الدنيا إذا لم يكـــن بهـــا ::: صديق صدوق صادق الوعد منصفا

ومن شعر الشافعي:

ومتعب النفس مرتـــاح إلى بلـــد ::: والموت يطلبـــه في ذلـــك البلـــد
وضاحك والمنايـــا فـــوق هامتـــه ::: لو كان يعلم غيباً مات من كمـــد
من كان لم يؤت علماً في بقاء غـــد ::: فلا يفكر لما يجـــيء بعـــد غـــد[1]

من شعر الشافعي، وهو:

يا راكباً قف بالمحصب مـــن مـــنى ::: واهتف بقاعد خيفهـــا والنـــاهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى مـــنى ::: فيضاً كملتطم الفـــرات الفـــائض
إن كان رفضاً حـــب آل محمـــد ::: فليشهد الـــثقلان أني رافضـــي[2]

من شعر الشافعي:

قـــد يعســـر المـــرء في رزقـــه ::: ويـــرزق الفـــاجر والكـــافر
ويسلم الأطمـــس مـــن حفـــرةٍ ::: يســـقط فيهـــا النـــاظر الباصـــر
ويحفـــظ الجاهـــل مـــن لفظـــةٍ ::: يهلـــك فيهـــا العـــالم المـــاهر
لا يعجب الإنســـان مـــن أمـــره ::: هـــذا الـــذي قـــدّره القـــادر[3]

ومن شعر الشافعي:

أمتّ مطـــامعي فأرحـــت نفســـي ::: فإن النفس مـــا طمعـــت تهـــون

(1) القفطي، المحمدون من الشعراء، ص 41.
(2) الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، 32/2.
(3) ابن كنان، يوميات شامية، 1 /4.

وأحييت القنـــوع وكـــان ميتـــاً ::: ففـــي إحيائـــه عرضـــي مصـــون
إذا طمـــع يحـــل بقلـــب عبـــد ::: علتـــه مهانـــة وعـــلاه هـــون[1]

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ومن منح الجهال علمـــاً أضـــاعه ::: ومن منع المستوجبين فقـــد ظلـــم

وقيل: ما كل تربية تحتمل القلائد، ولا كل ضريبة تستحق الفوائد.

روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه:

محن الزمـــان كـــثيرةٌ لا تنقضـــي ::: وســـرورها يأتيـــك كالأعيـــاد

وقال:

تأتي المكـــاره حـــين تـــأتي جملـــةً ::: ونرى السرور يجيء في الفلتات[2]

ومن شعره:

إذا لم أجد خـــلاً تقيـــاً فوحـــدتي ::: ألذ وأشهى من غـــويّ أعاشـــره
وأجلس وحدي للســـفاهة آمنـــاً ::: أقر لعيني من جلـــيس أحـــاذره[3]

و قول الإمام الشافعي:

وأحـــق خلـــق الله بـــالهم امـــرؤٌ ::: ذو همـــة يبلـــى بعـــيشٍ ضـــيقِ

و بعده:

فلا ينحلل في المجد مالـــك كلـــه ::: فينحل نجدٌ كـــان بالمـــل عقـــدهُ
ودبره تدبير الـــذي المجـــد كفـــه ::: إذا حارب الأعداء والمـــال زنـــدهُ
فلا مجد في الدنيا لمـــن قـــل مالـــه ::: ولا مال في الدنيا لمن قـــل مجـــدهُ

وقال الإمام الشافعي:

أرى نفســـي تتـــوق إلى أمـــورٍ ::: يقصـــر دون مبلغهـــا مـــالي
فنفســـي لا تطـــاوعني لبخـــلٍ ::: ومـــالي لا يـــبلغني فعـــالي

(1) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، 2 / 147.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 15، 484.
(3) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 1 / 256،.

وقال أيضاً:

يا لهف نفسي على مـــلٍ أفرقـــه ::: على المقلين من أهـــل المـــروءاتِ
إنَّ اعتذاري إلى من جاء يسـألني ::: ما ليس عندي من إحدى المصيباتِ

وقال الإمام الشافعي:

خذوا بدمي ذلك الغـــزال فإنـــه ::: رماني بسهمي مقلتيه علـــى عمـــد
ولا تقتلـــوه أنـــني أنـــا عبيـــده ::: وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد![1]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

بلوت بني الـــدنيا فلـــم أر فـــيهم ::: سوى من غدا والبخل ملء إهابـــه
فجردت من غمد القناعة صـــارمًا ::: قطعـــت رجـــائي منـــهم بذبابـــه
فلا ذا يـــراني واقفـــا في طريقـــه ::: ولا ذا يراني قاعـــدًا عنـــد بابـــه
غني بلا مال عن النـــاس كلـــهم ::: وليس الغنى إلا عن الشيء لا بـــه
إذا ظالمًا يستحسن الظلم مـــذهبًا ::: ولج عتـــوًا في قبـــيح اكتســـابه
فكله إلى صـــرف الليـــالي فإنهـــا ::: ستبدي له ما لم يكـــن في حســـابه
فكم قـــد رأينـــا ظالمًـــا متمـــردًا ::: يرى النجم تيها تحت ظل ركابـــه
فعمـــا قليـــل وهـــو في غفلاتـــه ::: أناخت صروف الحادثـــات ببابـــه
فأصبح لا مال ولا جـــاه يرتجـــى ::: ولا حســـنات تلتقـــي في كتابـــه
وجوزي بالأمر الذي كان فـــاعلاً ::: وصب عليه الله ســـوط عذابـــه[2]

وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

خبرت بني الدنيا فلـــم أر منـــهم ::: سوى خادع والخبث حشو إهابـــه
فجردت عن غمد القناعة صـــارمًا ::: قطعـــت رجـــائي منـــهم بذبابـــه
فـــلا ذا يـــراني واقفـــا بطريقـــه ::: ولا ذا يراني قاعـــدًا عنـــد بابـــه
غني بلا مال عن النـــاس كلـــهم ::: وليس الغنى إلا عن الشيء لا به[3]

(1) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال و الحكم، 250/1، 260.
(2) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 117/2.
(3) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

لو أن بالحيل الغنى لوجدتني ::: بنجوم أفلاك السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ::: ضدان مفترقان أي تفرق
فإذا سمعت بأن محرومًا أتى ::: ماء ليشربه فغاص فصدق
أو أن محظوظًا غدا في كفه ::: عود فأورق في يديه فحقق[1]

ومن شعر الإمام الشافعي:

دَعِ الأيامَ تفعلُ ما تشاءُ ::: ولا تجزعْ لحادثةِ الليالي
وكنْ رجلاً على الأهوال جَلْداً ::: وإن كُثرتْ عُيوبُكَ في البَرايا
تستَّرْ بالسَّخاء فكلُّ عيبٍ ::: ولا تُرِ للأعادي قطُّ ذُلاً
ولا تَرْجُ السَّماحَةَ من بخيلٍ ::: ورزقُكَ ليسَ يُنْقِصُهُ التأنّي
ولا حُزنٌ يدومُ ولا سُرورٌ ::: إذا ما كُنتَ ذا قلبٍ قنوعٍ
ومنْ نزلتْ بساحَتِهِ المنايا ::: وأرضُ الله واسعةٌ ولكنْ
دَعِ الأيامَ تَغْدِرُ كُلَّ حينٍ ::: وطِبْ نفساً إذا حكمَ القضاءُ
فما لحوادِثِ الدنيا بقاءٌ ::: وشيمتُكَ السَّماحةُ والوفاءُ
وسَرَّكَ أن يكونَ لها غِطاءُ ::: يُغطيهِ كما قيلَ السَّخاءُ
فإنَّ شماتةَ الأعداء داء ::: فما في النارِ للظمآنِ ماءُ
وليسَ يزيدُ في الرزقِ العَناءُ ::: ولا بؤسٌ عليكَ ولا رَخاءُ
فأنتَ ومالِكُ الدنيا سَواءُ ::: فلا أرضٌ تَقيه ولا سَماءُ
إذا نزلَ القَضا ضاقَ الفضاءُ ::: فما يُغني عنِ المَوتِ الدّواءُ

ومن شعر الإمام الشافعي:

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقت ::: ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
فإن يسر الله الكريم بفضله ::: وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
بثثت مفيداً واستفدت ودادهم ::: وإلا فمخزون لدي ومكتتم

العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة الثانية 1423 هـ - 2002، 2 /426.
(1) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، 2 /435.

فمن منح الجهال علمـــاً أضـــاعه ::: ومن منع المستوجبين فقد ظلـــم[1]

* * *

(1) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 2 / 255.